الفصل الرابع

الخصـــائص والسمـــات

ينفرد منهج الطرح الإسلامي المستخدم في هذا العمل الموسوعي بمجموعة من الخصائص والسمات تجعله متوائماً مع طبيعة المرجعيات الشرعية التي ينطلق منها ومع الأهداف والغايات التي يتوخاها ، ومع أدوات وآليات وطرائق التحليل التي عن طريقها يتعامل مع المتغيرات والمستجدات والجوانب المتغيرة في الإنسان .

ومن أول خصائص المنهج وسماته أنه ينظر إلى مجموع حركة الإنسان في الكون نظرة كلية شاملة ، فهو يتعامل مع حركة الإنسان على أنها حركة واحدة موزعة على عدة اتجاهات ، ثم يتولاها جميعاً بالتناول والتحليل من منطلق واحد وبأسلوب محدد ، فالمنهج إذن يعالج كل عناصر الحركة من سياسية واقتصادية وحضارية وثقافية .. إلخ .

كذلك من خصائص المنهج أنه يقيم علاقة وطيدة بين الشعيرة كنسك وعبادة وبين الشريعة كعلاقات ومعاملات وحدود . ويجعل الإسلام مزيجاً من الأمرين اللذين يدعم كل منهما الآخر ، وهذه السمة لا تتوفر لغير منهج الطرح الإسلامي .

ومرة أخرى ومن خلال سمة أخرى من سمات المنهج يزاوج بين الروح والمادة في علاقة وطيدة لا تعطي فرصة للفصل بين شقي الإنسان ، كما تفعل المناهج الأخرى .

فالمنهج يتعامل مع الإنسان على أنه كتلة واحدة تمتزج فيها الروح والمادة ، ويلتزم بالتعامل معهما معاً ، والنهوض بهما معاً ، في حالة فريدة من التوازن والتناغم البديع .

كذلك من سمات هذا المنهج أنه يدعم المحلل (المفكر الباحث) بمساندة قوية من الأصول والقواعد والمرجعيات الشرعية التي تحصن العقل ضد الزلل والشطط وتحميه من طغيان القيم الدخيلة ، ومناهج الآخر التي تعتمد بشكل مطلق على العقل دون حفيظ أو رقيب .

أما آخر سمات منهج الطرح الإسلامي فتتبلور في أنه يشترك مع الطروحات والرؤى والآراء التي قدمت من قبل عبر مراحل التاريخ الإسلامي في الأصل والغاية ، ولكنه يختلف معها فيما يتعلق بطبيعة القضايا والإشكاليات والمتغيرات والمستجدات التي يعالجها .

ما تقدم من خصائص وسمات منهج الطرح الإسلامي سوف نقوم بتفصيلها من خلال المباحث الخمسة التالية :

المبحث الأول : النظرة الكلية لمجموع حركة الإنسان في الكون .

المبحث الثاني : العلاقة العضوية الوثيقة بين الشعيرة والشريعة .

المبحث الثالث : العلاقة العضوية الوطيدة بين الروح والمادة .

المبحث الرابع : المساندة بين الأصول والأسس والعقل البشري .

المبحث الخامس : واحدية الأصل والغاية ومواءمة التطور والعرض .

المبحث الأول

النظرة الكلية لمجموع حركة الإنسان في الكون

يتفاعل الإنسان مع عناصر الوجود وموجودات الكون في حركة ذات عناصر ومفردات ، يختص كل عنصر أو مفردة بمجال معين من مجالات الحياة ، فالسياسة والاقتصاد والإدارة والثقافة والحضارة كلها مفردات وعناصر لتلك الحركة ، ومنهج الطرح الإسلامي بدوره يتعامل مع عناصر حركة الإنسان بشكل كلي شامل ، لا يتناول عنصراً دون الآخر ، فهو يحلل السياسة والاقتصاد والإدارة والثقافة والحضارة وغيرها كعناصر جزئية تجمعها حركة الإنسان الكلية في الكون ، ونفصل ذلك فيما يلي :

أولاً : الحركة والنشاط والتفاعل كلية واحدة :

يتفاعل الإنسان ويتحرك في كافة الاتجاهات وذلك بحكم القوانين الطبيعية ونواميس الكون ، إلا أنه يكثف تفاعله وحركته في اتجاه معين على حساب الآخر ، وهذا يعود إلى الاهتمام الذاتي بالإضافة إلى عوامل أخرى اجتماعية وسياسية ، وتتعامل كثير من المناهج مع حركة الإنسان وتفاعلاته من وجهات أحادية ، حيث يقتصر التحليل على جانب أو اتجاه دون الآخر ، على اعتبار أن الإنسان لا يبدي ولا يظهر إلا هذا النوع من النشاط ، وهنا يبدو قصور هذه المناهج لأنها تعمد إلى تحليل ما هو قائم أو كائن أو ظاهر .

إن هناك تفاعلاً وتأثيراً متبادلاً بين عناصر حركة الإنسان ونشاطه في الكون وهذا التفاعل والتأثير المتبادل يساعد في توحيد عناصر الحركة وإبرازها على أنها كلية واحدة ، وقد يكون من الصعب فصل كل عنصر من عناصر الحركة والتعامل معه على انفراد ، لأن ذلك

الفصل سوف يجرده من تأثره وتأثيره في غيره من العناصر ، وهذا ما يؤدي عادة إلى قصور مناهج التحليل التي تعمد إلى القيام بعملية الفصل هذه ، في حين يتعامل منهج الطرح الإسلامي بطريقة مثالية مع عناصر حركة الإنسان ونشاطه في الكون .

ثانياً : منهج الطرح الإسلامي يعالج كل عناصر حركة الإنسان :

ينفرد منهج الطرح الإسلامي بأنه يعالج كل عناصر حركة الإنسان في الكون ، وذلك لأنه يعمد إلى تحليل ما ينبغي أن يكون ، أي أنه يحلل حركة الإنسان ويضع نموذجها المثالي الذي ينبغي أن تكون عليه ، مثل سلوك المسلم السياسي والاقتصادي والإداري والحضاري .. إلخ ، وهذه السمة التي ينفرد بها منهج الطرح الإسلامي تمنحه إمكانية تقديم طروحات ورؤى وآراء تغطي جميع سلوكات الإنسان وحركته سواء في المجتمع أو في الكون .

ومن ثم فقد جاءت جزئيات هذا العمل لتشمل كافة سلوكات الإنسان وحركته بالشكل الذي أوضحنا ، فبدأت بالسلوك أو الحركة السياسية ثم السلوك الاقتصادي فالسلوك الإداري ثم السلوك الحضاري فالمنطق الثقافي ثم النشاط الاجتماعي وهكذا .

المبحث الثاني

العلاقة العضوية الوثيقة بين الشعيرة والشريعة

من سمات منهج الطرح الإسلامي كذلك أنه يقيم علاقة عضوية وثيقة بين الشعيرة والشريعة ، وهو بذلك يتعامل مع الإسلام برؤية شمولية تجمع بين شقي الإسلام : شق النسك والعبادة ، وشق النظام الاجتماعي المتكامل ، ولذلك قيمته العظيمة بالنسبة للطروحات التي يتوصل إليها المنهج ، فهي تمثل رداً مقنعاً وبليغاً على كل من أراد أن يصور الإسلام على أنه الشعيرة والنسك ليس إلا ، ويهدف إلى تجريده من حقيقته الأبدية الخالدة كنظام اجتماعي أمثل ، ونوضح ذلك فيما يلي :

أولاً : طبيعة الشعيرة وأهميتها :

الشعيرة على العموم هي ما ندب إليه الشرع وأمر بالقيام به ، وبالخصوص تعني العبادة ، وكذلك النسك يحمل معنى الشعيرة وهي العبادة التي فرضها الله في شريعة معينة للتقرب إليه ، وعليه فالشعيرة تعني العبادة ، والعبادة في عمومها هي الخضوع لله والإذعان له والتذلل من خلال القيام بأفعال تدل على ذلك فرضها الله بكيفية وهيئة معينة .

فالشعيرة هي علاقة ذات خصوصية بين العبد وربه ، فرضها الله على عباده لعبادته وطاعته ، وهذه العلاقة مباشرة ولا يتدخل فيها أو يطلع على خفاياها أي أحد من البشر ، وبذا يكون الشق الأول من الإسلام هو علاقة بين العبد وربه ، وهذه هي الدائرة الأولى والأهم في حياة الإنسان وفي علاقاته على الإطلاق ، وللشعيرة التي هي العبادة جانبان :

جانب ظاهري يتجسد في أفعال وسلوكات تؤدى بهيئة وطريقة معينة ، وجانب خفي يتعلق بقلب الإنسان ومدى إخلاصه الطاعة والعبادة لله .

وللشعيرة والعبادة أهميتها البالغة في كونها تهذب الجوارح ، وتتخول النفس بالخشوع والتقوى والصلاح ، حيث تقوّم الفكر وتطمئن القلب وتضبط السلوك ، ومن ثم يكون الإنسان مهيئاً لأن يتعامل ويتفاعل مع نفسه ومع الناس على أساس من الانضباط والتقوى والبر ، والعلاقة مع النفس ثم العلاقة مع الناس هما الدائرتان اللتان يتحرك فيهما الإنسان في الحياة ، وهما يتبعان الدائرة الأولى ، فإن صلحت صلحتا وإن فسدت فسدتا .

ثانياً : طبيعة الشريعة وأهميتها :

الشريعة هي ما وضعه الله لعباده من العقائد والأحكام ، وشريعة الإسلام هي ما وضعه الله من عقائد وأحكام ونزلها على الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ونقصد بالشريعة في هذا العمل ما جاء في الشرع مستهدفاً تقويم الأفكار وضبط السلوكات في دائرتي العلاقة بين الفرد ونفسه وبين الفرد وغيره .

وللشريعة أهميتها العظيمة في كونها تضبط سلوكات الفرد وتقوّم أفكاره على الدائرتين المتعلقتين بنفسه وبالآخرين ، ومعنى ذلك أن الدائرة الأولى الأرقى والأسمى تتولى ضبطها الشعيرة ، أما دائرة العلاقات الإنسانية فتتولى الشريعة ضبطها .

ثالثاً : علاقة الشعيرة بالشريعة :

من حيث المصدر تتنزل الشعيرة والشريعة من عند الإله الخالق في كتابه العزيز ومن سنة الرسول الكريم ، ومن حيث الهدف والغاية تتولى الشعيرة علاقة العبد بخالقه فتهيئه لأن

يكون مثالياً في علاقاته بالآخرين التي تتولاها الشريعة بالتقويم والضبط ، ومن ثم فالإنسان في كافة تفاعلاته وعلاقاته يعيش بين الشعيرة والشريعة .

رابعاً : منهج الطرح الإسلامي يربط بين الشعيرة والشريعة :

تعويلاً على أهمية كل من الشعيرة والشريعة في حياة الإنسان وعلاقتهما العضوية ، فقد جعل منهج الطرح الإسلامي من هذه العلاقة سمة من سماته لأنه يخطط سلوك الفرد المسلم على أساس ما تقود إليه الشعيرة والشريعة من تقويم وضبط ومثالية ، وعلى أساس أن المنهج يتعامل مع الفرد وأفكاره وسلوكاته في كلية واحدة تنظمها دوائر ثلاثة : الأولى بينه وبين خالقه ، والثانية بينه وبين نفسه ، والثالثة بينه وبين الناس .

المبحث الثالث

العلاقة العضوية الوطيدة بين الروح والمادة

لعل الإسلام هو الدين الوحيد الذي يوازن بين الروح والمادة ويتخولهما معاً بالاهتمام والرعاية ، ولا يفصل بينهما ، بل يتعامل معهما في ذات الإنسان ككلية واحدة ، وعليه فإن المنهج يجعل من سماته التعامل بنفس المنطق ، حيث يهتم بالروح والمادة بوصفهما قوام كيان الإنسان ، وتوضيح ذلك يتم من خلال الآتي :

أولاً : تركيب الإنسان من الروح والمادة :

يتركب الكيان الإنساني من مزيج متداخل من الروح والمادة ، والروح هي ما تحيى به الأجسام وتتحول بموجبه عناصرها إلى كيان يحمل صفة الحياة ويستخدم منهج الطرح الإسلامي مدرك الروح في هذا العمل للدلالة على الجانب القيمي السامي في الإنسان الأكثر ثباتاً ورسوخاً ، والذي يسير بالإنسان دوماً في سبيل القيم والفضائل والأخلاق وينتهي إلى صراط الله المستقيم ، وهذا الجانب غير محسوس أي لا يدرك بالحواس والجوارح ولكنه يدرك بالعقل ويستشعر بالوجدان .

أما المادة فهي العناصر المادية المحسوسة التي تلمسها الجوارح ، وعليها ينتسب الكيان المادي للإنسان ، ويستعمل منهج الطرح الإسلامي مدرك المادة في هذا العمل للدلالة على الجانب العرضي الزائل الفاني في الإنسان وهو الدائم التغير والتبدل ، وينزع بالإنسان نحو التدني ، والالتفات إليه يلهي الإنسان عن الترقي بالروح والسمو بالجوهر إلى معية الله سبحانه وتعالى .

ثانياً : التوازن مطلوب بين الروح والمادة :

لقد خُلق الإنسان من روح ومادة ، وجعل الله لكل منهما دوره ومهمته في حياة الإنسان ، فالروح ترمز للفضيلة والسمو ، والمادة تعني الرذيلة والتدني وكل منهما يتنازع الإنسان . فإذا سادت الروح سمت بالإنسان عن الدنايا ، وترقت به نحو الفضائل والقيم والمثل الخالدة ، أما إذا غلبت المادة فستجذب الإنسان نحو الدنايا وتنحدر به إلى الرذائل التي تغذي الجسد الفاني الزائل .

وليس في مقدور الإنسان السوي الرشيد أن يُغلّب جانباً على الآخر ، أو يهتم بشق دون الآخر ، فالانصراف المطلق إلى ترقية الشق الروحي يجرد الإنسان من خصائص وسمات الإنسانية والبشرية وينزع به نحو الملائكية والمخلوقات منزوعة الشهوة والمجبولة على الطاعة ، كما أن الاهتمام الصرف بالمادة ينحدر بالإنسان إلى مرتبة الحيوان الذي لا تحركه إلا شهوته الغريزية البهيمية . ومن ثم فقد أصبح من خصائص الإنسان السوي أن يوازن بين الروح والمادة ، وقليل من الناس هم الذين يمكنهم تجاوز هذه العقبة وإحراز التوازن المطلوب بين الروح والمادة وتحقيق معادلة الإنسان المثالي .

ثالثاً : منهج الطرح الإسلامي يقيم توازناً بين الروح المادة :

إن منهج الطرح الإسلامي الذي استخدم في جزئيات هذا العمل يرمي إلى تحقيق معادلة الإنسان المثالي حيث يفترض قيام توازن بين الروح والمادة في ذلك الإنسان ، وهذا هو نهج الإسلام الذي يسعى إلى إقامة ذلك التوازن فالإنسان من وجهة نظر الإسلام مزيج متوازن من الروح والمادة ، والشرع يرى ضرورة أن ينعم الإنسان بما سخره له الله من عناصر الوجود وموجودات الكون دون إسراف أو تقتير ، وضرورة أن يسمو بروحه نحو

الفضائل والقيم والمثل ، وفي ذلك جاء قول الحق تبارك وتعالى " وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنسى نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين " .[1]

إن المسلم أراد الله له أن يكون على هذه الشاكلة يشبع متطلبات الجسد بوسطية واعتدال ، ويسمو بروحه فيجاهد نفسه ويجبرها على الطاعة ويلزمها بالتقوى ، وإذا كان هذا هو وضع المسلم وهذه هي حالته ، فإن منهج الطرح الإسلامي يتعامل معه وفق هذا الوضع وحسب هذه الحالة ، وجاءت كافة التحليلات للتعامل مع المسلم على أنه المتوازن روحاً ومادةً وجوهراً ومظهراً وقلباً وقالباً .

---

[1]. سورة القصص : ٧٧ .

المبحث الرابع

المساندة بين الأصول والأسس والعقل البشري

إن ثمة علاقة تبادلية بديعة بين الأصول والقواعد التي توجد بمصادر منهج الطرح الإسلامي وبين العقل المسلم ، وهذه العلاقة هي سمة من سمات ذلك المنهج ، وتمتد هذه العلاقة إلى مصادر المنهج ذاتها التي هي المرجعيات الشرعية . والعلاقة المذكورة علاقة مساندة وتوزيع أدوار ، وتحقيق ذلك فيما يلي :

أولاً : أهمية المرجعيات والأصول والقواعد للعقل المسلم :

المرجعيات الشرعية هي مصادر منهج طرح الإسلامي وهي في ذات الوقت تحوى الأصول والقواعد التي تمثل أسس وقوام الطروحات والآراء والرؤى ، وللمرجعيات وما تحويه من أصول وقواعد أهمية مطلقة للعقل المسلم ، فهي تقدم له قوام طروحاته وصلب آرائه ووجهاته ، وهي كذلك تحفظه من الزلل وتحصنه ضد الشطط ، وتهديه إلى سواء السبيل ، وذلك على عكس العقل غير مسلم الذي يفتقر إلى هذه المحصنات ويفتقد هذه الأسيجة ، فهو يعمل على هدي من هـــواه ، وقد يلجأ إلى خبرات الغير وتجاربه والموروثات الثقافية والحضارية ، وكلها لا تسلم من الزلل ولا تأمن الخطأ .

إن دور المرجعيات الإسلامية الشرعية بالنسبة للعقل المسلم يتمثل في تقديم المدد والعون بالأصول والقواعد ، ويتمثل كذلك في المساندة والدعم بالحفظ والحرص ، وهكذا يظل العقل المسلم في حماية المرجعيات تكتنفه بكنفها وتحرسه بحرزها فيكون دوماً في مأمن ، وهذا هو النهج الذي ترسمه صاحب هذا العمل من خلال منهج الطرح الإسلامي .

ثانياً : دور العقل المسلم وتبعاته :

أما العقل المسلم فدوره فعال وحاسم ، فهو يدخل مع المرجعيات الشرعية في علاقة تبادلية تقوم على التناغم والتناسق ، فعندما يتم تحصين العقل المسلم وتسييجه — كما سبق وأوضحنا — يبدأ في مباشرة دوره وهو في مأمن ، وتتمثل **أول تبعات** ذلك الدور الحاسم والمهم في البحث الدائب عن الأصول والقواعد واستنباطها من المرجعيات الشرعية ، وهو في ذلك يستخدم كافة مقدراته وجميع مكناته وملكاته في المعرفة العميقة والإطلاع الدقيق على تلك المرجعيات ، وتتجسد **ثاني تبعات** ذلك الدور في تحليل الأصول والقواعد وتفسيرها بالشكل الأصولي العلمي تمهيداً لمضاهاتها بالمتغيرات والمستجدات والإشكاليات محل الطرح والرؤية ، وتتحدد **ثالث تبعات** ذلك الدور في دراسة وبحث المتغيرات والمستجدات والإشكاليات موضع الطرح وهذا يتطلب كذلك قدرات فائقة للإلمام بتلك المتغيرات والمستجدات بمدلولاتها ومضامينها العصرية المتداولة والمتعارف عليها ، وتتعين **رابع تبعات** ذلك الدور في صياغة الطرح وتقديم الرؤية وبسط الرأي بمواصفات خاصة تجمع أصالة الأصول والقواعد والمرجعيات ومعاصرة المتغيرات والمستجدات ، وتتشكل آخر تبعات ذلك الدور في وضع ذلك الطرح على أرض الواقع ودمجه في نسيج المجتمع ومراقبته وتخوله بالتقويم الدائم .

واحدية الأصل والغاية ومواءمة التطور والعرض

ومن سمات منهج الطرح الإسلامي أخيراً أنه لابد أن يشترك مع كافة الطروحات الإسلامية عبر التاريخ الإسلامي في الأصل الواحد الذي نبعت منه واعتمدت عليه جميعها ، وكذا في الغاية والمقصد الذي ينبغي أن تقود إليه كافة الطروحات حاضرها وسالفها ، وهي رفعة شأن الإسلام وإقامة مجتمعه المثالي الذي تزدهر فيه وتينع عقيدة التوحيد ونظامها الاجتماعي ، ثم تختلف المناهج والطروحات الناتجة عنها فيما يتعلق بدورها في مواءمة ومضاهاة التطورات والمتغيرات والمستجدات التي تختلف بطبيعتها من زمان إلى زمان ومن مكان إلى آخر ، والتوضيح فيما يلي :

أولاً : الأصل واحد لا يتغير ولا يتبدل وكذلك الغاية :

الأصل هو المرجعية الشرعية التي يستنبط منها الأصل والقاعدة التي تأسس عليهما الطروحات والرؤى والآراء ، وقد سبق لنا وفصلنا تلك المرجعيات ، ومن شأن كافة المناهج على مر التاريخ الإسلامي وفي جميع أنحاء العالم أن تلتجئ إلى هذه المرجعيات المصادر لكي تستنبط منها الأصول والقواعد ، وعليه فالأصل واحد ومحدد كما أن ذلك الأصل ثابت راسخ لا يتغير ولا يتبدل مع الزمن .

وقد عمد علماء الأمة المجتهدون إلى الاعتماد على تلك المرجعيات المصادر لكي يستنبطوا منها الأصول والقواعد التي يؤسسون عليها طروحاتهم وآراءهم ، وكان ذلك هو دأب

العلماء في جميع العصور ، فقد انطلق الجميع من تلك المرجعيات ، وشرعوا يعالجون المستجدات والمتغيرات التي تعن لهم في عصورهم مهما اختلفت وفي أماكنهم مهما تباعدت.

ولم يتفق علماء الأمة حول المصادر المرجعية فقط بل اتفقوا كذلك حول الغايات والمقاصد ، فغايات ومقاصد تلك الطروحات والرؤى والآراء محددة ولا خلاف حولها فهي تدور دوماً حول رفعة شأن الدين وإقامة المجتمع المسلم على القيم والفضائل والمثل حتى يعبد الله على حق ، وعليه فقد اتفق علماء الأمة في كل العصور والأزمان وفي كل الأماكن والبلدان حول المصدر والمنبع وحول المصب والمقصد .

ثانياً : الاختلاف في مواءمة التطور والعرض :

فيما بين المصدر والنبع والمقصد والمصب كان هناك المتغيرات والمستجدات التي تختلف من زمان إلى آخر ومن مكان إلى آخر ، فكان لكل زمان متغيراته ومستجداته وكذلك لكل مكان ، وكان على علماء الأمة أن ينطلقوا من المصدر الواحد والمرجعية المشتركة لمعالجة المتغيرات والمستجدات المختلفة والمتباينة مستهدفين المقصد والغاية الواحدة .

لقد كان اختلاف وتباين المتغيرات والمستجدات من عصر إلى آخر ومن مكان إلى آخر كفيلاً بأن يقود إلى اختلاف الطروحات والآراء والرؤى بالرغم من واحدية الأصل والغاية ، فلكل عصر مستجداته ومتغيراته ولكل مكان تطوراته وأحداثه ، فعلينا والحال كذلك أن نتفق مع أسلافنا في الأصل والأساس والمقصد والغاية ، ونختلف معهم في طبيعة المتغيرات والمستجدات والقضايا والإشكاليات ، ومن ثم الطروحات والآراء والرؤى المترتبة عليها .